المحور الأول : الأسرة والطفل

المحاضرة الأولى : مدخل حول الأسرة ووظائفها

مقدمة:

تعتبر الأسرة التي تتشكل عن الزواج الرحم الاجتماعي الذي يتلقى فيه الوليد بعد خروجه من الرحم البيولوجي حاجاته من الأمن والحماية والرعاية ، ويلعب خلو الأسر من الصراعات دورا كبيرا في مساعدة الطفل على التكيف السليم ضمن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ، إلا أنه ومن غير المعقول وجود أسرة مثالية خالية من الخلافات والصراعات فالصراع الأسري انتشر بصورة كبيرة حتى أصبح أمرا شبه حتمي في وقتنا الحاضر في الأسر حديثة النشأة مما ترتب عنه ضعف أو حرمان في اشباع حاجات أفراد الأسرة ، وكون هذه الأخيرة تعتبر العامل الرئيسي في تنشئة الطفل على كافة الأصعدة النفسية والاجتماعية والعقلية، فهي ترسم ملامح شخصيته وتحدد سلوكه منذ مراحل طفولته الأولى كما تسهم في إشباع رغباته النفسية وتشكيل كيانه الذي يمتد إلى المراحل اللاحقة.

إن الملاحظ للأسرة الجزائرية سيميز تحولها من نمطها الممتد الواسع إلى نمط الأسرة الحديثة المحدودة الأطراف أي استقلالية الأسرة النووية عن النسق الأسري الكبير نتيجة التغير الاجتماعي الكبير ، حيث خضع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى نقلات تاريخية في مراحله المختلفة، شهد فيها تحولات وتغيرات سريعة في مجالات كثيرة (أمنية ، سياسية ، اجتماعية ، ثقافية ...) وكل تحول في المجتمع ينعكس أثره بالدرجة الأولى على كافة الأبنية الاجتماعية ومنها البناء الأسري، فعلى سبيل المثال زيادة نسبة الولادات مثلا تمس المجتمع مباشرة، وذلك بزيادة النمو الديمغرافي والذي يترتب عنه عدد من الآثار السلبية كارتفاع نسبة البطالة وانخفاض الدخل الفردي وبالتالي ضعف المستوى المعيشي وغيرها من المشكلات الاجتماعية الأخرى التي تشكل تحديات كبرى.

رغم أن الأسرة الجزائرية تتجه في تطورها نحو الأسرة النووية إلا أنها مازالت تحتفظ بالكثير من مظاهر الأسرة الممتدة فأصبحت تجمع خصائص الأسرة الحضرية ووظائف الأسرة الريفية ويظهر ذلك في حرصها على العادات والتقاليد والقيم والنظرة الجماعية للسلوك الفردي الذي يتمثل في رقابة وضبط سلوك كل فرد في الأسرة ، ويرجع ذلك إلى قوة التقاليد والتراث المشترك وما للجانب الديني من آثار قوية في التقاليد الأسرية ، كما أثرت الحياة في المدينة على الأسرة الجزائرية من حيث البناء والسلطة والزواج والإنجاب والوظائف التقليدية للأسرة كالتربية والضبط الاجتماعي والدف العاطفي لأفرادها وبدرجات متفاوتة نتيجة اختلاف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومناطق الإقامة لكل أسرة .

1- أهمية الأسرة:

تعتبر الأسرة نسقا اجتماعيا رئيسيا بالمجتمع يتفاعل فيه الأبوان مع الأبناء لتشكيل شخصية سليمة اجتماعيا ونفسيا، لكي يقوموا بالأدوار المنوطة بهم مستقبلا بصورة فعالة في مجتمعهم ، مما ينعكس على باقي الأنساق الاجتماعية التي تتعامل معها الأسرة كوحدة كلية، وكلما زادت قدرة الأسرة على رعاية أبنائها وتوجيههم وتنشئتهم دون أن يشعروا بالحرمان أو القسوة أو التساهل، كلما كان الطفل سويا قادرا على تحمل مسؤوليته في إطار احترامه وتقديره لذاته وذوات الآخرين في نفس الوقت، فإذا ضعفت الخلية الأساسية في المجتمع (قنديل، شلبي ،: 28) . وتبرز أهمية الأسرة في أن الرعاية التي يتلقاها الطفل في أسرته في السنوات الأولى من حياته هي العامل الرئيسي في تكوين صحته النفسية والفعلية، ويمكن تلخيص أهمية الأسرة في النقاط التالية:

- أنها تمثل أول نموذج للجماعة التي يتعامل معها الطفل وتشكل سلوكه وتوجهه وتلقنه القيم والمعايير الاجتماعية.
- تنفرد الأسرة بتزويد الطفل بمختلف الخبرات أثناء سنوات تكوينه.
- الأسرة هي أكثر الجماعات الأولية تماسكا وتتم فيها عمليات انتقال القيم والعادات من جيل الآباء إلى جيل الأبناء.
- تحدد مكانة الطفل بدرجة كبيرة بمكانة الأسرة وثقافتها، وبالتالي فهي تهيئ المواقف المختلفة وتنمي قدرات الطفل.
- الأسرة هي التي تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية وتحدد له منذ البداية اتجاهات سلوكه.

2- مقومات الأسرة:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وتعتمد في حياتها على عدة مقومات لا يمكنها الاستغناء عنها لتتمكن من قيامها بوظائفها كنسق اجتماعي، ويتوقف نجاح وتكاملها الاجتماعي مع بقية الأنظمة والأنساق الاجتماعية الأخرى على مدى تكامل هذه المقومات وتناسقها فيما بينها، ونلخصها في النقاط التالية:

2-1- المقوم الاقتصادي :

يعتبر العامل الاقتصادي عاملا أساسيا في إشباع الحاجات الأساسية والمتغيرة للأفراد ووسيلة للمحافظة على البناء المادي والنفسي ، ويترتب قصور العامل الاقتصادي حرمان الأسرة من المشاركة الاجتماعية ، كما أن فكرة تكوين أسرة ترتبط منذ بدايتها بمدى قدرة الزوجين على الالتزام بالمسؤوليات الاقتصادية المنوطة بهما ، وبعد الزواج يتوقف تحقيق الاستقرار الأسري على العامل الاقتصادي، وتختلف الحاجات باختلاف الأفراد والمجتمع.

2-2- المقوم الصحي :

تعتبر الأسرة الوسيلة البيولوجية التي تمد المجتمع بالأفراد عن طريق الإنجاب والذي يتم عبره استمرار النوع الإنساني و تنتقل المورثات التي تحملها الجينات، لذلك لابد أن تكون الأسرة سليمة من الناحية الصحية لضمان سلامة الأبناء ويؤكد الكثير من العلماء أن ضعف النسل يرجع إلى العوامل الوراثية ، خاصة في حالة زواج الأقارب من الدرجة الأولى

ولكي يتحقق التكامل الأسري لابد أن تتوفر الجوانب الصحية لجميع أفراد الأسرة، وذلك بإجراء الفحوص الطبية اللازمة قبل إتمام عملية الزواج ، كما أنه عندما يتعرض أحد أفراد الأسرة لأي مرض فإن حالته تؤثر في جميع أفراد أسرته فتضطرب الحياة الأسرية وتزيد الأعباء والمسؤوليات خاصة في حالة المرض المزمن لأحد الوالدين، فبمرض رب الأسرة يتوقف الدخل أو ينخفض ، وإذا مرضت الأم تضطرب الأسرة فيزيد قلق الأب ويتوتر ويعجز عن تدبير شؤون المنزل كما تتأثر الأسرة أيضا إذا أصيب أحد أبنائها بمرض مزمن، ، فيتأثر الوالدين نفسيا ويسكنهم الخوف على حياة أبنائهم ومستقبلهم مما يؤثر سلبا على استقرار الحياة الأسرية نفسيا واجتماعيا ويجعل الأسرة تفقد توازنها واستقرارها.

2-3- المقوم النفسي :

يعد المقوم النفسي من أهم مقومات الأسرة، فهي عندما توفر الاستقرار النفسي والطمأنينة والأمن والعطف لأفرادها تكون أكثر فاعلية في رعاية أبنائها و ضمان سلامتهم من التفكك الأسري والصراع ، فالتفاهم والتعاون المتبادل بين الأبوين شرط أساسي لاستقرار الحياة الأسرية، كما أن تحديد سلوك الأسرة ينعكس على الطفل منذ السنوات الأولى في حياته لأن وظيفة الأسرة هي بناء وتحديد استعداداته ضمن نمط اجتماعي مقبول.

2-4- المقوم الاجتماعي:

تشمل المقومات الاجتماعية للأسرة شبكة من العلاقات الأسرية تتضمن العديد من الأنظمة كالنظام الزواجي والنظام الأبوي، النظام الأخوي والنظام الاجتماعي الداخلي والخارجي ، وتمثل العلاقات الاجتماعية أساس الاستقرار الأسري فالزوجان يرتبطان بعلاقات خارج الأسرة وداخلها والعلاقات الداخلية لا تمثل اشتراكا في المكان فقط بل تنشأ على أساس التقبل المتبادل بين الزوجين من ناحية الإشباع الجنسي والعواطف الصداقة و المشاركة في السلطة وتقسيم الأدوار.

3- وظائف الأسرة في الحياة الاجتماعية :

تقوم الأسرة بمجموعة من الوظائف التي تتداخل وتتفاعل مع بنية المجتمع، وهذا رغم من تغير طبيعة تلك الوظائف نتيجة التطورات الاجتماعية وتعقد المجتمع الحديث المستمر في مجالات مختلفة والتي سلبت من الأسرة وظائف عديدة كالوظيفة الإنتاجية التي انتقلت إلى المصنع والوظيفة التعليمية التي انتقلت إلى الروضة والمدرسة، ولكن تبقى للأسرة وظائف مقتصرة عليها. ويعتبر **طارق كمال** (2005) أن للأسرة إلى أربعة وظائف رئيسية هي:

- الوظائف البيولوجية : وتتلخص في الإنجاب وما يسبقه من علاقات جنسية ضرورية لاستمرار الكائن الإنساني.
- الوظيفة النفسية : كما يحتاج الفرد للغذاء لينمو فهو يحتاج إلى إشباع حاجاته النفسية كالحب والأمن والتقدير.
- الوظيفة الاجتماعية :وتتجلى في تنشئة الأبناء التي يبدو تأثيرها في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل خاصة والتي يتم فيها تطبيعه اجتماعيا وتعويده على مختلف الضوابط السلوكية الاجتماعية (التغذية، النظافة، الكلام ...) كما تتضمن تعريفه بذاته وتنمية مفهومه حول نفسه وبناء ضميره وتعليمه المعايير الاجتماعية ليعرف حقوقه وواجباته التي تساعده على الصحة النفسية والتكيف ووسطه الاجتماعي .

- الوظيفة الاقتصادية : والتي عرفت تطورا كبيرا خاصة في المجتمعات الريفية التي هجرها أفرادها إلى المناطق الحضرية بحثا عن حياة أفضل وفرصة العمل، واقتصر نشاطها على أنواع محدودة من الأعمال أما الأسرة الحضرية فإن وظيفتها في الإنتاج تتحدد بطبيعة الحياة الحضرية فهي تستهلك أكثر من كونها منتجة .

كما يصنف سعيد حسني العزة في كتابه "الإرشاد الأسري" وظائف الأسرة إلى إحدى عشر وظيفة وهي:

❖ إشباع حاجات الفرد: فالأسرة تقوم بتوفير الحب والاحترام والأمن والحماية النفسية والجسدية.

❖ تحقيق انجازات المجتمع: تعتبر الأسرة الوحدة التي تتكون من خلالها النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني فهي تعد أفرادها للتفاعل مع الحياة الاجتماعية وتقوم بعملية التطبيع الاجتماعي عن طريق تنمية العواطف الاجتماعية في نفوس الصغار والمحافظة عليها عند الراشدين من أجل قيامهم بأدوارهم الاجتماعية المختلفة.

❖ الوظيفة الاقتصادية : ما تزال الأسر الريفية تشكل أسرا مركبة، وهي تعتبر الوحدة الاجتماعية في الإنتاج الريفي فهي تقوم بإنتاج الكثير من السلع داخل الأسرة ، حيث يقوم بعملية الإنتاج والاستهلاك ، أما في المجتمعات المعاصرة خاصة في المجتمعات الصناعية فقد تحولت الأسرة إلى أسرة استهلاكية أكثر من كونها وحدة إنتاجية.

❖ تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب: فالزواج ظاهرة اجتماعية تتطلب مصادقة المجتمع عليه، الأمر الذي يحدد حقوقا وواجبات لأفراد الأسرة،

❖ إعالة الأطفال وتربيتهم: تلعب الأسرة دورا كبرا في إكساب الأطفال عاداتهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم وتكوين شخصياتهم وتقديم الرعاية الضرورية لبقائهم .

❖ الوظيفة النفسية: إن جو الأسرة المريح يمكن الأطفال من النمو النفسي والاجتماعي والثقافي والديني السليم.

❖ وظيفة المكانة: إن أفراد الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية المرموقة من مكانة أسرهم في المجتمع الذي يعيشون فيه.

❖ وظيفة الحماية: تكفل الأسرة لأفرادها الحماية الجسمية والنفسية والاقتصادية بمختلف أعمارهم وأدوارهم .

❖ الوظيفة الدينية: تعلم الأسرة أفرادها القيم الدينية وتعلمهم احترامها وممارسة طقوسها.

❖ الوظيفة الترفيهية: تستغل الأسرة أوقات فراغها للقيام بأعمال ترفيهية.

❖ الوظيفة الإحصائية: يمكن اتخاذ الأسرة كوحدة إحصائية في إجراء الإحصائيات المتعلقة بتعداد السكان وتحديد مستوى المعيشة ونسبة المواليد والوفيات ولخدمة الأغراض العلمية .